

## المبحث الرابع : الأثر المذهبي للآريوسيين

يتضح الأثر المذهبي من خلال التعاليم ، والمجامع التي انعقدت منذ أن أعلن آريوس مذهبه ، فضلا عن الفرق الآريوسية والتي كان لها تواجد بمصر وسائر ولايات الإمبراطورية:

**أولا : تعاليم آريوس ومذهبه :** اعتبر آريوس أن الابن مخلوق، وإنه قابل للتغيير كسائر المخلوقات ، وقال طالما أن الابن مولود (γεννητος جينيتوس)، والآب هو الوحيد الغير المولود (αγεννητος آجينيتوس); فيكون الآب وحده هو الإله لأنه يتفوق على الابن بسبب أن الابن مولود والآب غير مولود. وحيث إن الابن مولود، إذن هناك بداية لوجوده، وبالتالي كان هناك وقت لم يكن فيه موجودًا، ويتبع ذلك أن الابن بدايته من لا شيء<sup>(1)</sup>.

ونادى آريوس بأن الله لم يكن دائمًا أب، بل مر وقت لم يكن فيه أبًا. وأن اللوغوس غريب عن الجوهر الإلهي وليس منه. وهو لا يعرف الله تمامًا بل لا يعرف طبيعته تمام المعرفة. وأنه خلق لأجلنا لكي يخلقنا الله بواسطة كأداة. ولم يكن له وجود إلا بدعوة الله له للوجود من أجل محبته لنا.

كما أنكر ألوهية الروح القدس، وبذلك يكون قد أنكر الثالوث القدوس. واتبع في ذلك نظرية التدنى subordination التي نادى بها أوريجانوس.

ومن النصوص التي استخدمها آريوس لتأكيد تعاليمه قول السيد المسيح عن نفسه "الحى وكنت ميتًا" (رؤا: 18)، يقول آريوس إنه من غير الممكن أن يقول الله ذلك عن نفسه. ويستشهد بقول معلمنا بولس الرسول إلى تلميذه تيموثاوس عن الآب "المبارك العزيز الوحيد ملك الملوك ورب الأرباب الذي وحده له عدم الموت ساكنًا في نور لا يدنى منه" (1تى: 6: 15-16). فالآب هو الوحيد وحده الذي له عدم الموت. فكيف يقول المسيح عن نفسه "الحى وكنت ميتًا" ويكون هو الله؟

1- محمود سعيد عمران ، نفس المرجع السابق، ص68، 67.

كذلك استخدم آريوس آية "وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد، ولا ملائكة السموات إلا أبى وحده" (مت 24: 36) ، واعتبر آريوس أن الابن هو أول المخلوقات، وإنه قابل للتغيير وقابل للخطية كسائر المخلوقات. وقال طالما أن الابن مولود (باليوناني  $\gamma\epsilon\nu\eta\tau\omicron\varsigma$  جينيتوس)، والآب هو الوحيد الغير المولود (باليوناني  $\alpha\gamma\epsilon\nu\eta\tau\omicron\varsigma$  آجينيتوس)؛ فيكون الآب وحده هو الإله لأنه يتفوق على الابن بسبب أن الابن مولود والآب غير مولود. وحيث إن الابن مولود، إذن هناك بداية لوجوده، وبالتالي كان هناك وقت لم يكن فيه موجودًا. ويتبع ذلك أن الابن بدايته من لا شيء.

ورغم رد أثناسيوس على الآيات التي استخدمها الآريوسيون في رسائله الأربعة *Four Discourses Against the Arians* ضد الآريوسيين *Contra Arianos* المنشورة في مجموعة نيقية وما بعد نيقية *Nicene & Post Nicene Fathers*، إلى جوار كتاب "تجسد الكلمة" الذي كتبه أثناسيوس وهو شماس قبل أن يدخل في الصراع ضد الآريوسية<sup>(1)</sup>، فإن أدلة آريوس أقوى من أن يرد عليها، فهي عصية على النقد رغم السفسطة التي استخدمها أثناسيوس<sup>(2)</sup>.

لم يكن آريوس وحده هو الذي نادى بهذه الأفكار بل إن إفنوميوس الآريوسى أيضًا تبناها ودعا إليها ووجدت قبولًا وانتشارًا قويا، ومن ثم كان علي أغريغوريوس النيزينزى

<sup>1</sup>-W. Arndt & F. Gingrich, A Greek-English Lexicon of the New Testament and other Early Christian Literature, the University of Chicago Press, 1979, p. 726, + G. Kittel & G. Friedrich, Theological Dictionary of the New Testament, Eerdmans Publishing Co. Reprinted 1992, abridged volume p. 965, + Strong, J. LLD. STD, The New Strong's Complete Dictionary of Bible Words, Thomas Nelson Publishers, USA 1996, p.691. · Dr. Spiros Zodhiates, New Testament The Complete Word Study Dictionary, World Bible Publishers, Inc. Iowa Falls Iowa, 1992, p.1248- 1250, 260-261., J. H. Thayer, Greek-English Lexicon of the New Testament, Hendrickson Publishers, June 1996, p. 77,554.

وانظر: أثناسيوس، تجسد الكلمة، ترجمة جوزيف موريس فلتس، القاهرة، الفصول من 6-32.

<sup>2</sup>- عن سفسطة أثناسيوس أنظر: المقالة الثالثة، ص 15، 14، 59، 56، 23، 22.

التيولوجوس الناطق بالإلهيات أن يرد عليه في العظات الخمس التي تسمى Five Theological Orations مدافعا عن الثالوث . فالصراع كان أحيانا في الإسكندرية بين الكسندروس وآريوس، وأحيانا في القسطنطينية بين غريغوريوس الناطق بالإلهيات وتلاميذ آريوس مثل إفوميوس .

**يُلخّص لورينتز<sup>(1)</sup> تعاليم آريوس - التي نادى بها في كنائس الإسكندرية - كما يلي؛**

- 1- الله لم يكن دائما أباً، وفي وقت كان هو الله وليس أب.
- 2- الكلمة أو الابن هو خالق صنعه الله من العدم.
- 3- يوجد كلمتان (*Logoi*) و حكمتان (*Sophiae*) و عدّة قُوى (*Denameis*) لله.
- 4- الإبن مُنغَيّر، لكنّه ظل ثابتاً بنعمة من الله.
- 5- الكلمة غريب وبعيد عن الكيان الإلهي، و هو إله غير حقيقي لأنه جاء إلى الوجود (يقصدُ خلق تحت الزمن).
- 6- معرفة الإبن لله غير كاملة، لأن الكيانات المخلوقة لا تقدر أن تعرف خالقها بشكل مُطلق.
- 7- معرفة الإبن لذاته ناقصة.
- 8- الإبن خُلق لأجلنا، لكي نُخلق نحن به.
- 9- الثالوث كائن في ثلاثة أفانيم غير مُتساوية في الجوهر.

**ويتضح مما سبق الآتي :**

1- : أن هذه التعاليم بلا شك فيها ما هو منتحل على آريوس في محاولة من المخالف لتقريب تعاليم آريوس لما يعتقدونه هم ، ومن ذلك الزعم بأن آريوس كان يقول بأن الإبن خُلق لأجلنا، لكي نُخلق نحن به ، والزعم بأنه كان يقول بأن الثالوث كائن في ثلاثة أفانيم غير مُتساوية في الجوهر . فالقول الأول يقرب تعاليم آريوس من عقيدة الفداء والخلاص التي

1- P. C. Hanson, Search for the Christian Doctrine of God, The Arian Controversy PDF, p.21.

أصلها أثناسيوس ، والثاني يلقي على تعاليمه شبهة التثليث ، وكلا القولين آريوس برىء منها ، ومن ثم فرغم سفسطة أثناسيوس في تعقبه لأقوال آريوس فقد أقر بأن الأخير أذاب التعليم بالثالوث القدوس ، وقلب "بناء الخلاص" كلية<sup>(1)</sup>.

2- : أن اعتقاد آريوس تمثل في أن الله واحد ، غير مولود وحده ، سرمدى وحده ، ليس له بداية وحده . الحقيقي وحده ، الذي له الخلود وحده ، وبجانب الله ، لا يوجد كائن آخر . فكل ما كان خارجاً عن الله الأحَد إنما هو مخلوق من لا شيء ، وإرادة الله ومشيتته ، وهذا يعني أن المسيح ، ضمن هذا التعريف ، بشرٌ مخلوق ، ولكن عن طريقه توجد قوة عامة (لا شخصية) هي "الحكمة والكلمة ، وهذه التعاليم مأخوذة من "الوحدانية المقتردة" التي أصلها وتحدث عنها بولس السميساطي .

**ثانياً : المجامع المذهبية :** يتضح الأثر المذهبي للآريوسية أيضاً من خلال عشرات المجامع التي عقدت لاحتواء الصراع المذهبي بين الآريوسيين ومخالفهم في العقيدة حيث انعقد أكثر من خمسين مجمعا كانت لها آثارها في مصر وخارجها منها مجمع نيقية سنة 325 م وقد سبق تفصيل قراراته آنفاً ، ومجمع روما ، ومجمع صور الذي أصدر قراره بوحدانية الله ، وأن المسيح رسول فقط<sup>(2)</sup> ، ومجمع القسطنطينية الذي عقد سنة 381 م ، ولم يحضره إلا مائة وخمسين أسقفاً وسبب انعقاده الاختلاف على ألوهية الروح القدس بين كل من كنيسة الإسكندرية التي تزعمت القول بالتثليث ، وأسقف القسطنطينية مقدونيوس يناصره بعض القساوسة ، ومنهم الأسقف أوسابيوس الذي أنكر وجود الأقانيم الثلاثة ، حيث ذكر أن الروح القدس ليس بإله ، ولكنه مصنوع مخلوق ، فعقد الإمبراطور ثيودسيوس الكبير مجمع القسطنطينية وقرر الآتي :

- 1- حرمان الأسقف مقدونيوس والأسقف أوسابيوس وإسقاط كل منهما من رتبته .
- 2- تقرير ألوهية الروح القدس ، وبذلك اكتمل بيان التالوث في نظرهم ، وصار الآب ويعنون به الله ، والابن ويعنون به المسيح ، والروح القدس ، وكل من هذه الثلاثة أقنوم (أي شخص) إلهي .

1- أنظر : المقالة الأولى ضد الآريوسيين ، فقرة 39.

2- محمد أبوزهرة ، محاضرات في النصرانية ، ص 119، 120 ; وانظر : الأب صبحي حموى اليسوعي ، القديس اثناسيوس السكندري ، ص 9.

3- معاقبة كل من يجوز إنجيلاً مكتوباً بالعبرية ، وهذا يدل على كثرة الأناجيل واختلافها وهو ما أكده لوقا في إنجيله (1:1-4)<sup>(1)</sup>.

لقد عبر المؤرخ الفذ رنسيان عن الأثر المذهبي القوي للآريوسية بمصر وسائر ولايات الإمبراطورية البيزنطية خلال القرن الرابع بأكمله من خلال تولية الأساقفة الآريوسيين على كراسى الكنائس حيث قال : " أصدر أول مجمع مسكوني ، وهو نيقية قرارا باستئزال للجنة عليهم - الآريوسيين- ولكن الذي حدث هو أن مذهب آريوس ظل طوال القرن الرابع بأكمله يستمتع بمحبة الدوائر الراقية بالقسطنطينية ، ولم يقض على ذلك المذهب ببلاد الشرق إلا بعد انعقاد المجمع المسكوني الثاني في 381م<sup>(2)</sup>....".

قلت : ما ذكره رنسيان بشأن القضاء على مذهب آريوس يقصد به إزاحة المذهب من المناصب الكنسية ، وإلا فس نجد أتباعا كثر وأثرا واضحا للمذهب خلال القرون المتتابعة لا سيما في القرن الخامس الميلادي حيث بذ نسطور والذي يمثل امتدادا للمذهب الآريوسى ، ومن ثم فقد وجد نسطور معارضة من قبل كنيسة الإسكندرية وأصدر المجمع المسكوني الثالث المتعقد في أفسوس قراره ضد نسطر بدافع قوة شخصية بطريرك الإسكندرية كيرلس<sup>(3)</sup>.

**ثالثا : الفرق الآريوسية :** رفض جميع الآريوسيين اصطلاحات مجمع نيقية ، وكان أساقفة مجمع نيقية قد استخدموا في قانون الإيمان اصطلاح (هومو أوسوس) أي الواحد في الجوهر مع.. أو المساوى في الجوهر ل..". وأرادوا أن يثبتوا بهذا الاصطلاح أن الابن مع الأب واحد ، وأن هذا الجوهر هو كيان أساسي واحد.. وأضافوا بعد قانون الإيمان - بسبب المحرومين - نضا قالوا فيه بأن الابن "ليس من هيبوستاسيس آخر" أي " ليس من جوهر آخر" .. وهكذا فقد أغضب الاصطلاح الأول الآريوسيين المتشددين ، أما الاصطلاح الثاني فقد أغضب

1- محمد أبوزهرة ، محاضرات في النصرانية ، ص 122،123 ؛ وسام عبد العزيز فرج ، الامبرطورية البيزنطية ، دار المعرفة ،الإسكندرية ، ص 33،32.

2- أنظر : الحضارة البيزنطية ، ترجمة عبدالعزيز جاويد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ط 2 ، 1997م ، ص 132.

3- رنسيان ، الحضارة البيزنطية ، ص 132،133.

الآريوسيين المعتدلين.. (أو أنصاف الآريوسيين Semi - arians<sup>(1)</sup>) ويبدو أن القانون دبحه لاهوتى غربى من المحتمل أن يكون "هوسيوس" أسقف قرطبة ، وكلمة "Hypostasis" هيوستاسيس هي ترجمة للكلمة اللاتينية "Substantia"<sup>(2)</sup> إلا أنه في الغرب - نظرا لعجز اللغة اللاتينية حيث كانت كلمة Substantia تعنى كلا من أوسيا Oucial أي الجوهر أو الكيان ، وكلمة "هيوستاسيس Hypostasis" أي القوام أو الأقسام .

ويمكننا أن نفصل الحديث عن فرق الآريوسيين التي كان لها تواجد بمصر وسائر ولايات الإمبراطورية في الآتى :

1- الآريوسيون المعتدلون : كان الآريوسيون المعتدلون (Semi - Arians) أوريغانيين قدامى وكان يتزعمهم أسقف قيصرية أوسابيوس ، وقد أصروا على التمييز المشدد بين الآب والابن، ورفضوا أيضا اصطلاحى مجمع نيقية لأنهما لم يردا بين نصوص الانجيل . وبعد موت أوسابيوس قام باسيلوس أسقف أنقيرا وجورجيوس اللاوديكي بتنظيمهم وتميزوا بوضوح أكثر من الآريوسيين الآخرين ، وذلك في مجمع ميديولانوس عام 355 م . حيث أنهم قبلوا "تمثال الجوهر" أو التشابه في الجوهر "هوميو أوسبيوس" الأمر الذي من أجله أطلق عليهم اسم "هوميو أوسيين" وكانوا يختلفون عن القائلين "بالتساوى في الجوهر" أي "الهومو أوسيين" قليلا ، ولذلك أطلق على النزاع بينهم أنه نزاع على لاشيء<sup>(3)</sup> .

2- الآريوسيون المتشددون وكانوا قد نشأوا عن اللوكيانين ، وكان يرأسهم في البدء يوسابيوس النيقوميدي (فيما بعد أوسابيوس القسطنطيني)، وهذا الفريق تشدد في الفصل بين الآب والابن بدرجة أكبر، وبعد موت أوسابيوس في عام 341. برز بين صفوفهم "ايتيوس" الأنطاكي الذي اندفع إلى تعاليم آريوس الأشد تطرفا من أجل تكوين فريق آريوسى جديد،

1- هسى ، العالم البيزنطى ، ص 36 ، هامش 1.

2- كلمة "هيوستاسيس" Hyposasis اليونانية تعنى القوام، أو الأساس - أو ما يقف عليه الشيء - الدعامة" أو طبيعة الشيء، أو الشخص، أو أقنوم.

3- أنظر : رأفت عبد الحميد ، الفكر المصرى فى العصر المسيحى ، ص 203.

وهذا الفريق الجديد تشكل بطريقة أكثر تنسيقاً على يد تلميذه "يونوميوس" ، وقد ذهب هذا الفريق إلى أن جوهر الله في عدم الولادة. أما جوهر الابن ففي كونه مولود ، ومن ثم فإن جوهرى الآب والابن ليسا فقط شبيهين بل نقيضين تماما ، ولكى يؤكدوا تمييزهم لله الآب أعتادوا أن يمارسوا المعمودية بغطسة واحدة فقط بدلا من ثلاثة غطسات.

3- الأومويون ( الهومويون) ويعرفون بالشبيهين، وقد تشكلت هذه الفرقة بإيحاء من الإمبراطور قنسطنطيوس Constantius ، وقد استخدم الهومويون اصطلاح "أوميوس OMIOS" (أي شبيه أو مثل دون تحديد)، إلا أن ذلك لم يكن لاهوتهم الخاص. بل - بحسب الظروف - كانوا ينحازون لفريق أو لآخر، وقد أدى ذلك إلى إضفاء تفسيرين على كلمة أوميوس OMIOS فصار من الممكن أن تعنى إما "تشابه الجوهر" أو تشابه المشيئة ، واتخذ مشايعو هذا الفريق لزعامتهم أساقفة الحدود الشمالية أمثال أورساكيوس السنجدونى، وأولتتاس المورصى وأكاكيوس القيصرى، وقد فرضوا وجهة نظرهم في المجمع الذي انعقد في سرميوس عام 359م.

4- الأنومويون وهم الذين ينكرون أى شبه بين الآب والابن<sup>(1)</sup>.

1- صبرى أبو الخير سليم ، تاريخ مصر في العصر البيزنطى ، دار عين ، القاهرة ، ط 1 ، 1997م ، ص 46.

obeyikanda.com